

# مناقشة

## بمناسبة ذكري السياب

بقلم عبد المجيد لطفي

\*\*\*

تأخذ الكتابة عن الشاعر الشاب الراحل بدر شاكر السياب طابعا استفزازيا للفارئ في أكثر ما يكتبه الكاتبون عنه . انهم مثيرون ومتهمون لجبل الشاعر كله وهم بذلك محقون ولكن ليس الى الحد الذي يلحق الاذى والعدوان بالجيل كله . فالشاعر لم يكن مهمل الشئان حامل الصيت والذكر في حياته ، فلقد اصاب من الصيت ما ارضاه وآتسه وهذا من غضبه على الحياة والناس ، حياته هو بالدرجة الاولى بسبب اخفاقات شخصية لا محل لذكرها في هذه الكلمة ...

لعل من القلة الذين يعرفون السياب معرفة وثيقة عن طريق ادبه وحياته ، فلقد عرفته اول ما عرفته ، فني غض الالهاف نحيفا فيه صفرة الجنوب وامتقاع يدعو الى الاسبى ، ولم تكن ملامحه مرضية للعين لاول وهلة .. كان نه فسم كبير واذنان متهدنان وانف طويل بارز في وجه نحيل ، وقد برزت عظمتنا الوجنتين بروزا يدل على ان الفنى كان بحاجة ماسة الى نقاهة طويلة ... وعلى الاجمال فان وجهه البيضوي النخيف كان يكسبه ملامح مفولية وهذا وحده ما كان يستلفت النظر اليه .

ولقد رأيت على تلك الصورة في حفل ادبي اقامه نادي التجديد في بغداد وفي مركزه يومئذ في العيواضية وكان قد جاء من البصرة فدخل دار المعلمين العالية .. وكانت له في الحفصل قصيدة هزت الحاضرين طربا واملأتهم به اعجابا .. وكانت قصيدة رائعة من تلك القصائد العمودية الوثيقة الصلة باذواق الناس . فلما انتهى من ذلك نهضت اليه وصافحته وهنأته وتعرفت عليه وقلت :

- سيكونك في شعر هذا العصر شأن ... فابتسم برقة وقال :  
- ارجو ذلك .

ولم أعد التقيه بعد ذلك الا لاما فابادله تحية ودية وامضي نم اقرأ شعره الجديد فارى ما توسمت فيه وعرفت من روح التمرد الذي كان يلفحه الحرمان في مختلف دروب التفوق على الاخرين فيما عدا الناحية الشعرية وهي موهبة حاول ان يصعد عليها اكثر مما ترتفع له . واذ لم يحقق له الشعر طموحا متمردا رافضا لواقعه الفردي اتجه نحو ما رأى فيه فائدة فاخذ اليسار الفكري عقيدة سياسية وبذل في هذا السبيل طاقات من موهبته وقوى واهنة من صحته ولكنه وقد اخفق في اليسار عندما بقي في المؤخرة ولم يتقدم اكثر من حمل لقب شاعر الطليعة ، واضطربت الالهواء والطامع الشخصية لدى الكبار من معاصريه في اواخر الاربعينات وقوي اليمين في عنف الملكية وضراوة انتقامها وقد قاسى فيها ما لا ينكر ، عاد دون تراث ليقع في احضان اليمين برهنة كان فيها في منتهى القلق وعدم الاستقرار والضيق . وكان اليمين كعادته عدوانيا ضد الافكار الحرة ومنطفيء الضمير فلم يهيبه له ما كان الشاعر يطمح اليه لسابقة افكاره ونضاله الشعبي . اقول هذا بكل اسف لاني اؤرخ مرحلة شخصية بلوتها فيه ومحضتها وعرفت دواعيها . فانا لا احمل له الا كل مودة . ومع انه جاهر بيمينيته وتكر لافكاره السابقة حتى شتمها وشنع ببعض العزاز من اصدقائه فلم يصب لقاء ذلك شيئا يذكر ... فكان يظفر - بمشقة في ظل احتضان اليمين له او احتضانه اليمين طوعا - بسقط المتاع وما يسد الاود في شحة وضنك ويؤس !

وكبرت شاعريته ونمت تحت ضربات من الاخفاقات الملح والحق عليه المرض وبدأ يتآكل من الداخل ، ولكنه الى حد ما حاول بعض الوقت ان يبقي خارجه متينا متماسكا بتلك الابداعات المتواصلة .. وصار بذلك صاحب مدرسة جديدة في الشعر . ومع شكرنا الجزيل له ولمدرسته التصويرية فلقد خلف وراءه اربا باليا متبذبا وعميم الجدوى

بما يتركه اتباع مدرسته الجديدة من غثائفة وضحالة وضياح مع احترامى للقللة الصالحة منهم .

انني لا اريد بهذه الكلمة ان اثير غضب احد او ضغينة كاتب او باحث او دارس دون ان ارهب احدا منهم فاننا على استعداد لمصاوتهم وردهم الى اصول الحقيقة . فان السياب نال من التقدير المعنوي في حياته ما يفرض على دوزينه من الشعراء بعضهم لا يقل كفاءة وموهبة عنه . الا اذا كانت نظرنا مادية صرفا واذا كنا نسقط المجد المعنوي الذي ناله من الحساب .

وحتى العطاء المادي لم يكن محبوسا عنه كما يحلو لغير العارفين ان يسب جيله كله لهذا السبب فلقد لقي السياب عناية فائقة في مرضه وتحملت حكومات الثورة نفقات علاجه في لبنان وانكلتره وتحمل بعض اصدقائه نفقات علاجه في مستشفيات الكويت فسي مرضته الاخيرة القاضية . في حين مات شعراء من الحزن واليؤس والضيق والإهمال والتعاسة لم تذكر ماساتهم سوى بفصول هزيلة عابرة من قبل بعض عارفيهم ...

والشكلة الادبية الان - واقول هذا بكل حزن - ان شعر السياب يدرس اليوم وربما غدا ايضا دراسة عاطفية واعني بهذا ان جميع من كتب عنه يقع تحت تأثير مسبق من حكم عاطفي رحيم يدين شعبا باكملة ... حتى صارت التهمة ، تهمة اهماله الموزعة على جميع معاصريه نوعا من الشعور بالذنب يحاول كل كاتب ان يكفر عنه بطريقة ما واقربها هذا الشاء ينصب جزافا ، وهذا الرئاء الموجه المشفوع بالتنايب والملامة لمعاصريه ! .. وكان شعر السياب في مبناه ومرماه مبرأ من العيوب الفكرية والبيانية وكان الانصاف للسباب لا يتم الا اذا احيط بهالسة جديدة من الشاء حتى ان تراكم هذا الشاء وبشكله الاعتباطي غطي على ادبه فلم يعد له بريق حقيقي ، وجسدت ماساة الشاعر ومرضه فصار بذلك بطلا في الاذهان ، بطلا اسطوريا ... مأساويا .. وليس في هذا اي فخر لشعره وتقويمه على ضوء من البصيرة والعدل وصارت حياته مادة البحث وادار الدموع وارسال الزفرات !

ان في شعر السياب لمن يدرسه بعناية وحياد كثيرا من الضعف والانحدار وركبة المعنى وتسليطته على الماضي واستلال المعاني القديمة وضمها الى نتاج فوكت بشيء من حلالة الاداء للاستحواذ عليها كشيء مبتكر ، كما ان الخرافة التي تبناها رجعت به الى الورا عصورا ومهما تكن اعذاره فانه اخفى وراء تلك اتهمومات الاسطورة هزيمة العقل والفكر ، وهزيمة روح اتحدى الباسلة عند غيره من الشعراء ممن هم في مثل ظروفه ، ان لم يكن على الصعيد العربي فعلى الصعيد العالمي . فلم يظهر السياب وقد حاول ان يعيش عقائديا فترات قلقة من حياته ان يصير ويصابر ويستمر فوق يسارا محطما في يمين صار متكبر سرعان ما دهسه وازدرده ، ثم افاق ليقيم عليه مشاحة تكفير لانه لم يحسن مشواه ...

ومع ذلك فان ظهور السياب في مرحلة ظهوره كان ظاهرة احتجاج ضرورية وبدا . احتجاجه برفض قيود الشعر ولوازمه ومن ثم أخذ يرفض القيود الاجتماعية والسياسية وفق طريقته .. وقد يجد له بعض صحبه عنرا في قلقه الفكري واضطرابه العقائدي واتجاهات قلمه ، انه كان تحت رحمة حاجة ساحقة .. فاذا كان هذا دفاعا فانه ينزل به الى ما لا تريد له ... فان نقصان الثبات عند الفكر العقائدي نقيصة لا سبيل الى مداراتها بالاعذار ...

ومع كل ذلك ، مع كل هذا الذي ذكرناه ، فان عزاء الادب به انه كان وسيبقى الى مدى بعيد نقطة انطلاق وبحث وتحليل بل تحريك للحياة الادبية الراكدة وانه بما حف به من أخيلة حزينة صار اقوى شكيممة وخلودا على البقاء مما كان عليه فسي حياته وحتى اكثر اشارة للادب .

وبعد فانني احبي ذكره الثانية باحترام كبير وبمودة وحزن عميقين ، فليس في هذه التحية الصادقة أي تطيف له ... رحمه الله رحمة واسعة وأعان من ترك من أهل وصيبة وعشير .

عبد المجيد لطفي

بغداد

## ((مسؤولية الناقد . . والاحكام المرتجلة))

بقلم عبد الرحمن علي

\*\*\*

حين قال الاستاذ امير بالحرف : فلا ادري ما معنى « ان ننظم علاقتنا التصيرية على اساس من التوازن بين الكلمات في سوية منطقية وفنية هادئة بلا جهازة مفرقة » ماذا تعطيك هذه العبارة ؟ هل تفسر لك شيئاً ؟ ام هي نفسها بحاجة الى تفسير ( كذا ) اذا كانت من الكلام المفهوم اصلاً ؟ « وانا بدوري ايها الاخ الكريم احب ان اتساءل : هل في هذه العبارة ما يوحي بالفموض والانفلاق ؟! وهل فيها من التقدير والالفاظ القاموسية المهجورة ما يدفع ناقداً - نفترض فيه التعمق والثقافة - ان يجهر بانها ليست من الكلام المفهوم اصلاً . . . واذا كان لزاماً علي ان افسرها فلا بأس من ان افق عند بعض كلماتها مما احسب ان الاخ قد استنكرها وعدها من الحوشي الغريب . . وربما كانت كلمته ( جهازة ) وكلمة ( مفرقة ) مما استوحشه الناقد من الكلمات وظنها عصبية على الفهم . . وبالرجوع الى المنجد وهو من القواميس المصرية المعروفة والمتداولة حتى عند طلبة المدارس الثانوية يمكننا تقصي بعض معاني هاتين الكلمتين . .

جاء في المنجد : جهر - جهازة . الصوت : ارتفع فهو جهير و جهير . وكلام جهير : عال . والجهوري : المرتفع العالي ويوصف به الصوت فيقال صوت جهوري . . .

وجاء في المنجد ايضاً : قرف . قرفا . لعباله : كسب - على القوم : بغي عليهم وكذب . الرجل : كذب وخط . والقرفي والمقرف : من في لونه حمرة . المقرف ايضاً : النذل . وجه مقرف : غير حسن .

وانسباً على ما تقدم ذكره يكون معنى الجهازة : الصوت المرتفع العالي . ومعنى مفرقة : اي ليست حسنة المظهر ومثيرة للاشمئزاز وناشرة وبهذا يكون تفسير العبارة الفاضلة ( كما وقع في وهم السيد امير ) كالآتي : ان وظيفتنا التصيرية يجب ان تمتد عن الصراخ والاصوات الناشئة العالية وان ننظم في كلمات موجبة تلقائية فذلك اقرب الى مقومات الاعمال الفنية الخالدة وادنى الى سحر التأثير وخلق الانفعالات الحقيقية في نفس المتلقي . . من غير حاجة الى دفعته النفس بتقريرات سطحية لا يكتب لها دوام التأثير والتفعل الى جوهر التجربة . .

وفي ختام سطره القليلة يقول الناقد انه لم يجد في مقالتي دراسة حقيقية ! وانما وجد لخيصاً سريعاً لها فحسب ومقتطفات كثيرة لا تتبعها بالتحليل الحقيقي . . وبتقتصيني الموقف ان اوضح للاخ الكريم انني حين واجهت نص الرواية لم يدرك في خلدي ان اقوم بتلخيص الرواية ثم التعليق عليها كما يفعل بعض الناقدين في اعمالهم النقدية ، ولكني آثرت ان ابتمد عن الاخذ بمناهج النقد الجاهز والافكار المسبقة مما لا يتناسب مطلقاً وفنية هذه الرواية . . كنت ولا اخفي عنك وافعا في حيرة نابغة من طبيعة الموقف النقدي ؟! فهل من الضروري مثلا ان نلتزم دائما بمصطلح نقدي ومذهب تقويمي معين ؟! وهل ان الطريقة العلمية - التي نجد فيها مؤانسة ونفضيلاً - تستطيع ان تجسد قدرات فتان يتنهد من الاساس على فروض المسطرة والفرجال ؟! احسب ان الاخ كنفاني من ابعاد الناس عن هذه القوالب الجاهزة المحضرة . . واحسبه ايضاً في رواية « ما تبقى لكم » قد تجاوز هذه الاعراف واخذ يمزق ما يظنه الاخرون اطواق الذهب !! . . من هنا ارتضيت لنفسي طريقة انسب لروح النص ، فاهتديت الى مواجهته بما يشبه الحوار ووظفت العبارات في لمسات تهدي وترشد الى مواطن الجودة وخلفيات العمل البنائي : بكل ما فيها من صحة النظرة ودقة الانفعال وفرح المباشرة المريرة التي احسن كنفاني في خلق تعبيراتها احساناً حملني بدوري الى ان اعيش لحظاتها المؤلمة بروح المتلقي المتماطف المحترق . .

واني ليحزنني ان يتسرع الاستاذ امير اسكندر فيرتجل اقصييه واحكامه ارتجالاً كنت امني النفس ان لا يقع فيها . . او على الاقل ان لا يحكم على دراسة مخلصه بانها غير حقيقية - مندرعاً بقضية النص من بين يديه - فيوسع من سلطة احكامه النقدية ويلقي موقفاً ادبياً صادقاً وحقيقياً فتضطرب لديه الرؤيا وتفمض عن ملامسة مجهود بريء وصادق!!

عبد الرحمن علي

البصرة - العراق

يقول الناقد انه لم يقرأ رواية ما تبقى لكم للاستاذ غسان كنفاني ولذلك فهو لا يستطيع ان يحكم على دراستي التي تناولت فيها نقد وتحليل هذه الرواية . . واني لاجب من ناقد واع كيف يستند الى مثل هذه التبريرات البعيدة كل البعد عن مستلزمات الناقد المتريث . . فاذا كانت مجلة الاداب - وهي مجلة ثقافية راقية - تتطلب من ناقد البعد الماضي ان يكون في مستوى المهمة التي القيت على كاهله ، فان من الرجاحة الفنية ان يقوم ذلك الناقد بمراجعة الاصول الادبية ما وسعه الجهد من المراجعة وبخاصة اذا كانت المؤلفات في عداد الاعمال الممتازة ولكتاب كبار امثال كنفاني او الدكتور سهيل ادريس او نجيب محفوظ او يوسف ادريس . . ومن طبيعة الامور في مثل هذه الاحوال ان يكلف السيد امير نفسه بقراءة الرواية المنقودة ولو قراءة سريعة يلم فيها المامة عجل بخلفيات واهداف كاتبها . . وعندها فقط يستطيع ان يفهم دون لبس وابهام ما فمت به من دراسة تحليلية مكثفة يضعها في ادراجها المناسبة . . هذه واحدة . . واخرى ، ان الكاتب وقف عند استهلاكي للموضوع فاني بنعه ليظفر منه بتخرجات ما كان ابعدها عن المراد والهدف ! . . فهو يقول : انني في هذه المقدمة اشجب عدم اهتمام كاتبنا بمشكلاتنا الصيرية - وهذا حق لا مرية فيه - ولكنه يلتوي عليه الامر فيقرر انني عندما دخلت في تفسير هذه الازمة لسم استعجبت نوصيحتها وبالتالي فهو لم يستطع ان يفهم ما اريد ان اقول ، وهذا في وعيي خلط عجيب ، وآية ذلك ان المعنى واضح يرشد الى الحقيقة التي ما زالت تؤرقنا وتلفنا في مناهات من الصراخ والمباشرة والتقريبات التي لا طائل من ورائها ، والحقيقة هي اننا دعائيون في اعمالنا الابداعية ، مفرمون بالهتاف والاعلان وهذا ابعد ما يكون عن عمليات الخلق والرؤية العميقة لذواتنا التي نسمي باستحياء الى كشف مسانيرها والتعرف على سلبيات عريها بمنطق المجابهة الحرة الواعية . . ولكنني اصبت بالدهشة والقراءة

لجميع مطبوعاتكم :



بيروت - تلفون : ٢٢٠٥١٢